المؤشرات النّصية والتّداوليّة في مفتاح العلوم للسّكاكي

أ. باديس لهويمل

جامعة بسكرة ـ الجزائر

يروم هذا المقال تقديم مقاربة لسانية لنص تراثيّ في البلاغة العربية من خلال محاولة بحث مظاهر الحداثة اللسانية النصية والتداولية فيه؛ أقصد محاولة تأصيل الدراسة النصية والتداولية في كتاب "مفتاح العلوم" وذلك بمساءلته تداوليا: من يتكلم في المفتاح؟ وإلى من يتكلم؟ وبماذا يتكلم؟ ولماذا يتكلم(القصد)؟ فالإجابة عن هذه الأسئلة توضّح نوع العلاقة المعرفية التي يمكن أن تنشأ بين مشروع السّكاكي في مفتاحه والدّراسات اللسانية النَّصيّة والتداولية؛ فمعلوم أنّ مشروع السكاكي في المفتاح، يقوم على الجمع بين علوم عديدة منها علم النّحو وعلم الصرف، وعلم المعاني والبيان، وعلم المنطق والعروض والقافية، وهنا تبرز القيمة النَّصية للمفتاح في جمعه بين أشتات هذه العلوم في بنية واحدة ليتّخذ منها أداة معرفيّة، تعمل متضافرة على تحقيق أهدافه في مشروعه لعلم الأدب.

كما نحاول بحث المؤشرات النصية والتداولية في "المفتاح" من خلال طرفي العملية التواصلية متكلّم/ مخاطِب(المتلفِّظ) ومخاطَب(السّامع) والسّياق فيبحث المقال في مدى عناية السكاكي بها، خاصة في ربطها جميعا بفكرة "مقتضى الحال" فذلك ممّا يسهم في بلورة البعد النّصي والتداولي لطرح السكاكي في مفتاح العلوم الذي يعتبر كتابا في علوم اللغة وقد وضعه صاحبه لتحقيق نظرية لعلم الأدب التي يهدف من خلالها إلى معرفة كيفية صحّة الأداء اللغوي فضمّنها علوما عديدة، فمفهوم علم الأدب عند السكاكي مشروع ذو بنية منهجية متماسكة قوامها ثلاثية يتحقق فيها؛ هي الصرف والنحو والمعاني يقول: «وقد ضمّنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللّغة ما رأيته لا بد منه وهي عدّة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصرف بتمامه(...) وأوردت علم النّحو بتمامه وتمامه بعلمي المعاني والبيان»[1]. هكذا يجعل "أبو يعقوب" علم الأدب يبنى على أساسين:

أ- الصّرف بتمامه، وتمامه بعلم الاشتقاق.

ب- النّحو بتمامه، وتمامه بعلمي المعاني والبيان.

لكنّ السّكاكي سرعان ما أدرك أنّ العنصرين المتمّمين للنّحو،علمي المعاني والبيان، جديران بأن يُفرد لهما مبحثا خاصّا ومستقلا إلى جانب الصرف والنّحو، فحاد عن تقسيمه الثّنائي إلى التقسيم الثّلاثي يقول:«وجعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول في علم الصرف، القسم الثاني في علم النحو،القسم الثالث في علمي المعاني والبيان»[2]. وهي علوم متآخذة فيما بينها يكمل فيها الآخرُ الأولَ، فالسّكاكي جعل علم الأدب حصيلة لعدّة أنواع من علم اللغة، ضمّها جميعا في بنية منهجية متماسكة، لتعمل متضافرة على تأدية ما سمّاه "بعلم الأدب"، هدفُه في المفتاح يقول:«وقد ضمّنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة[3]، ما رأيته لا بدّ منه وهي عدّة أنواع متآخذة، فأودعته علم الصّرف بتمامه، وأنّه لا يتمّ إلاّ بعلم الاشتقاق المتنوّع إلى أنواعه الثّلاثة، وقد كشفت عنها القناع، وأوردت علم النّحو بتمامه وتمامه، بعلمي المعاني والبيان وقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر، ولمّا كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال، لم أر بدّا من التّسمح بهما، وحين كان التّدرب في علمي المعاني والبيان، موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر، ورأيت صاحب النّظم يفتقر إلى علمي العروض والقوافي ثنيت عنان القلم إلى إيرادهما»[4].

فعلم الأدب، بعدِّه مشروع السّكاكي في كتابه، يجعل من مفتاح العلوم بنية منهجية غير قابلة للتجزيء تعمل فيها علوم اللّغة جميعا متضافرة في منظومة معرفية متكاملة يكمل فيها الأخير الأوّل، ويستدعي فيها كل علم ما لا يتمّ إلاّ به. وفي سبيل تحقيق السكاكي لمباحث هذا المشروع تناول جملة من المبادئ والمؤشرات تحوي مظاهر نصّية وتداولية قيّمة تمثّلت في الآتي:

1-مداخل التداوليّة في مفتاح العلوم: وتتجسد من خلال مساءلته بطرح نصّي تداوليّ تتحقّق على إثره مظاهر الدّراسة التّداولية؛ إذ من المعلوم أنّ اللسانيات التّداولية جاءت لتُجيب عن أسئلة من قبيل: من يتكلم؟ وإلى من يتكلم؟ بماذا يتكلّم؟ ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟[5]. فما مدى استجابة السّكاكي ومفتاحه لهذا الطرح؟

إنّ الإجابة عن هذه الأسئلة توضّح العلاقة المعرفية التي يمكن أن تنشأ بين مشروع السّكاكي في مفتاحه والدّراسات اللسانية النَّصيّة والتداولية؛ فمعلوم أنّ مشروع السكاكي في المفتاح، يقوم على الجمع بين علوم عديدة منها علم النّحو، وعلم الصرف، وعلم المعاني والبيان، وعلم المنطق والعروض والقافية وهنا تبرز القيمة النَّصية للمفتاح في جمعه بين أشتات هذه العلوم في بنية واحدة ليتّخذ منها أداة معرفيّة، تعمل متضافرة على تحقيق أهدافه في مشروعه لعلم الأدب، من خلال دراسة التركيب ضمن النّص.

أ-**من يتكلّم في المفتاح وإلى من يتكلّم؟**: المتكلم أو المتلفظ بالخطاب في المفتاح هو السكاكي، ويتكلّم إلى القارئ العربي ويحاوره بخطابه، معتمدا في ذلك على طريقة العرض البرهانية[6]، التي تقوم على انفراد العارض في بناء المعرفة وجعل الحوار يسير في اتجاه واحد ينطلق من العارض(السّكاكي) لينتهي عند المعروض عليه (المتلقي/ القارئ العربي)، الذي لا يكون له أي أثر في توجيه الخطاب والحوار إلاّ بما يتلاءم مع طرح العارض(السكاكي) وهو ما سمَّاه، طه عبد الرحمان، بالحوار الشبيهي الذي يختص «بكون العارض يتظاهر بإشراك غيره في طلب المعرفة وإنشائها وتشقيقها بينما هو في حقيقة الأمر آخذ بزمام توجيه المعروض عليه في كل مرحلة من مراحل الحوار»[7]. فيكون اتجاه طريقة العرض البرهانية على النحو الآتي:[8]

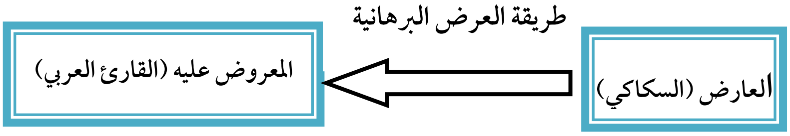

فالسكاكي وإن كان له عناية بالسامع إلاّ أنه كان الموجه لخطابه في إنشاء المعرفة وإقامة مشروعه لعلم الأدب، ومن ذلك ما جاء في الباب الثاني من علم النحو "في الفاعل" ويقصد به العامل يقول: «اعلم أن العامل يكون لفظا أو معنى واللّفظ إما أن يكون اسما أو فعلا أو حرفا، فينحصر العامل في أربعة أنواع كما ترى، ومن حكم كثير من أصحابنا أنّ الفعل في الألفاظ أصل في العمل دون الاسم والحرف، بناء منهم ذلك على أنّ المؤثر يلزم أن يكون أقوى من المتأثر والفعل أقوى الأنواع من حيث المناسَبَة لكونه أكثر فائدة لدلالته على المصدر وعلى الزمان وعندهم في

تقريرهم هذا أن الاسم والحرف لا يعملان إلا بتقوِّيهما به، فيقدمون الفعل في باب العمل، ولنا في تقرير حكمهم هذا طريق غير ما حكينا عنهم فليُطلب من كتابنا شرح الجمل»[9]. فواضح التزام السكاكي في عرضه هذا بتوجيه خطابه للمتلقي وأخذه بزمام الأمر حيث نجده يوضح المفاهيم ويشرح القاعدة ويبين أنواع العامل ويحصرها ثم يعلل للقاعدة بعدها في بيان أين يعمل كل نوع، وهو في كل ذلك العارض والموجه للحوار والخطاب.

والسّكاكي في طريقة عرضه هاته كثيرا ما يبدأ حواره على غرار علمائنا القدامى بتنبيه مخاطبه المفترض(القارئ العربي) وتوجيهه بقوله"اعلم" أو "واعلم" وأحيانا تُضَم للقول الفاء(فاعلم) وهي عبارة ذات قيمة تداولية مهمة حيث تتضمن إستراتيجيَّة توجيهيَّة تعمل على جلب المتلقي قصد إفهامه، وتقريب المفاهيم له وتوضيحها، وتحمل« تنبيها للسامع على أن ما بعده يجب حفظه وضبطه فتنبه السامع ويصغي قلبه ويقبل بالكلية عليه فلا يضيع الكلام منه وفيه معنى التنبيه»[10]. ويتجسد في هذه السمة التداولية الطابع التعليمي الذي قصده السكاكي في مفتاحه كي يقدم لأهل زمانه مختصرا يُحظيهم بأوفر حظٍ منه.

ب-لماذا يتكلّم السّكاكي؟ وعمّ يبحث؟ تكلّم السّكاكي في المفتاح لأجل تحقيق جملة من الأهداف من أهمها: بيان وجه إعجاز القرآن والاحتراز عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره بطلب من أهل زمانه كي يتمكنوا من منطق اللغة بوجه عام. ولأجل ذلك بحث عن تحقيق مشروع لعلم الأدب استثمر لأجله كل المكونات النصية(صوت وصرف ونحو ودلالة وبلاغة وبيان ومقام) وقام في سبيل ذلك بتوسيع دائرة البلاغة.

لقد كان السكاكي يبحث إذن عن مكونات"علم الأدب" كي يصون المتحدِّث من الخطأ في: مطابقة كلامه لقواعد اللغة أولا، ثم مطابقته للأحوال والمقامات بين المتخاطبين ثانيا ثم يعطيه حسنا وقبولا ثالثا[11] وهي سمات تداولية مهمة بخاصة مطابقة الكلام للغرض منه وتفاوت الدلالة في التعبير عن هذا الغرض بعدّه لب علم الأدب ومركزه. وهذا ما تعالجه البلاغة من خلال علمي المعاني والبيان ومن خلالهما تتجسد مباحث تداولية مهمّة كالاستلزام الحواري، والفعل الكلامي والمقام التخاطبي والقصد.

فإذا كان علم البيان يعرَّف بأنّه«إيراد المعنىٰ الواحد في طرق مختلفة بالزّيادة في وضوح الدّلالة عليه وبالنّقصان ليحترز بالوقوف علىٰ ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[12] فهذا يجعل من علم البيان يقوم أساسا علىٰ الاهتمام بالموقف الداخلي(أو المراد). فيجعل من قصد المتكلم مركز اهتمامه، كونه يؤثّر في استعمال اللغة واختيار الإستراتيجية المناسبة للخطاب، فيسهم بهذا في بلورة المعنىٰ مثلما قصده متلفّظه ومعلوم أنّ القصد محور مهمّ في الدراسات اللّسانية التّداولية التي تختص بدراسة مقاصد المتكلم وأغراضه من كلامه، علىٰ نحو ما نجده عند "جون سيرل"J.Serle الذي يقرّ«بأنّ ضم التقرير القصدي عن المعنىٰ إلىٰ جانب المبادئ العقلية للتعاون التّخاطبي يؤتي ثمارا وفيرة ونتائج جيّدة في تحليل مشكلات أفعال الكلام مثل "أفعال الكلام غير المباشرة" iderect speech والاستعمالات المجازية من قبيل الاستعاراتMétaphors وفي الفعل الكلامي غير المباشر يعني المتكلّم شيئا أكثر مما يقوله بالفعل»[13] فالقصدية طريقة يتمثل بها العقل الموضوعات والمضامين في العالم...

بينما نجد علم المعاني عند السّكاكي يهتم بالشق الآخر(الموقف الخارجي)[14] فيُعنىٰ بمطابقة الكلام لمقتضىٰ الحال والمقصود به: المقام ومن ضمنه حال السامع. وهذا مظهر آخر من مظاهر تداولية مفتاح العلوم حيث يكون فيه الاهتمام بدراسة الظّاهرة في سياق استعمالها ومقام ورودها.

وتظهر ملامح تداولية أخرىٰ في بحث السكاكي عن سر الإعجاز القرآني حيث أورد براهين وحجج شكلت أدلّة لغوية وأسلوبية وحجاجية تداولية وتجسدت هذه الأدلة في مباحث النحو وعلم المعاني والبيان وعلم الحد والاستدلال التي ضمّنها السّكاكي في مفتاحه[15] بداية بتعريفات هذه العلوم وانتهاء بما تحمله محاسنها من آليات ومؤشرات للدّراسة النّصية التّداولية، وكذا تضام هذه العلوم وامتزاجها في بنية واحدة يتحقق من خلالها علم الأدب؛ فنجده مثلا يدمج علم النحو مع علم المعاني، في علاقة وطيدة يكون فيها الأخير مكمّلاً للأول ومتممًا له ممّا يعد مؤشرا تداوليا مُهما تكون نتيجته دراسة الخطاب وسياقاته القائمة داخله وخارجه.

إنّ مشروع السّكاكي في علم الأدب جاء استجابة لحاجيات واقعية فرضتها بيئة عصره فجاء مفتاح العلوم مَسوقا علىٰ حسن إدراك لأهل زمانه وبقدر حاجتهم له، ولذلك لم يكن المفتاح حذلقة

لغوية أو تعقيدا من دون غاية أو هدف، بل هو نشاط لغوي نصّي ذو وظائف وأهداف بخاصة وأنّ« نظرية النّص والخطاب تؤكّد أنّ كل نشاط لغوي نصي له وظائف ويقدّم أهدافا ويرتبط بسياقات معقّدة، إنّه نشاط واع ينفّذه المتكلم وفقا للشروط التي يُنتج النص ضمنه حدودها وهو أيضا نشاط يتفاعل فيه المتكلم والمتلقي»[16].

فمفتاح العلوم يشكّل نشاطا لغويا ذا وظائف متعددة يبحث السّكاكي من خلالها عن أهداف محدّدة ومرتبطة بسياقات متعدّدة وهو بذلك نشاط واع ينفذه السّكاكي وفقا لشروط ينتج خطابه من خلالها. ولذلك يصّرح "محمد العمري" بأنّ« المشروع الذي ذهب فيه السّكاكي كان أشبه بعلم النص عند اللسانين المعاصرين(...) وإذا كان السّكاكي قد جعل البلاغة مساوية في آخر المطاف لعلمي المعاني والبيان فإن فان دايك صرح في بداية مقاله المذكور[يقصد النص بنياته ووظائفه] بأن علم النّص هو الممثل العصري للبلاغة»[17].

وبذلك نرى أن مفتاح العلوم ما يزال هو الآخر بحاجة إلى مفتاح يعالج نصوصه ويحاول استكناه مخزونها الدلالي على ضوء معطيات الدّرس اللغوي المعاصر، وذلك نظرا لوشائج القربى الموجودة بين المفتاح ومعطيات الدرس اللساني المعاصر.

ج-بماذا يتكلم؟: يتكلم السكاكي في المفتاح بتوظيفه لمشروع علم الأدب الذي جعله ثلاثة أقسام: علم الصرف، وعلم النحو وعلم المعاني وعلم البيان، وشرح مبدأ اعتماده على هذا التقسيم[18]. وهو أن الصرف تُمكِّن معرفته من تجنب الخطأ في بنية الكلمة المفردة، والنحو تجنِّب معرفته الخطأ في تعليق الكلمات بعضها ببعض، بينما تجنّب معرفة علمي المعاني والبيان الخطأ في مطابقة الكلام للغرض وقصد قائله.

وبذلك فإن مفهوم الأدب عند السكاكي يعني«الخطاب السليم الناجح»[19]. ويكون بذلك تصورا مبكرا لما يسمى اليوم بعلم النص. ذلك أننا نجد "فان دايك" يقول:« إن علم النص يدرس الأقوال اللغوية في كليتها، كما يدرس الأشكال والبنيات الخاصة بها تلك التي لا يمكن وصفها بواسطة النحو. من هذه الزاوية يقترب علم النص من البلاغة بل يمكن اعتباره ممثلا عصريا لها»[20]. وهذا ما كان السكاكي على وعي به حيث لم يكتف بدراسة الأقوال في مستواها الأول:

(أصل المعنى) الذي يتحقق بالدراسة النحوية، بل جعل تمام علم النحو بعلمي المعاني والبيان لينتقل إلى دراسة تلك الأقوال في الطبقات المقامية المختلفة مما يضمن دراسة الخطاب على المستويين الداخلي والخارجي ويضمن الانتقال من المعاني الأول إلى معان ثوان بحسب الأغراض والمقاصد والمقامات. وأما العلوم التي وظّفها السكاكي في إطار علم الأدب فهي بحسب الباحث "محمد عابد الجابري" علوم للخطاب يُتوخى منها ضبط قوانين الخطاب وتفسيره[21] وذلك بحكم أن المرجعية الأساس لهذه العلوم كانت خطابا معجزا مستعليا ذا خصوصية متميزة تسعى لفهمه وتفسيره وبحث مكمن إعجازه.

د-كيف يتكلم؟ بحث السكاكي عن الكيفية التي تتجسد من خلالها أغراضه ومراميه في المفتاح، فوجدها في توظيفه المنهج العلمي الذي يمكنه من ضبط المسائل وحصرها،وتقنين القوانين والتقعيد لها، مستعينا في ذلك بعلم المنطق والفلسفة، فكان أن وظف علمي الحد والاستدلال، بجعلهما من متممات علم المعاني[22]، وصارت البلاغة بذلك معضودة بالمنطق مما ساعد على إكسابها علميتها، حيث أعاد السكاكي تقسيم البلاغة من جديد، مستعينا بالمنطق في ذلك، فحدّد مجالها وحصر مباحثها بعدما كانت متناثرة بدون رابط يجمعها ولا منهج يحدّها، ومتداخلة مع النقد في قضاياه وبالتالي قد يكون ما فعله السكاكي بإدخاله المنطق«إنما هو سعي إلى جعل البلاغة بمفاهيمها وطرق الإجراء فيها تكتسب صفة العلم شأنها شأن بقية العلوم صرفا وإعرابا وكلاما وأصولا»[23]وهو ما يساعد على إرجاع البلاغة إلى حضنها الطبيعي بين العلماء، وبذلك وفّرت البلاغة لنفسها بفضل السّكاكي شروط قيامها علما، عكس النّقد الذي لم يستطع ذلك لعدم قدرته على استيعاب مبادئ المنطق في بناء مفاهيمه، ذلك أن من شروط«بناء العلوم في المنظومة القديمة أن يكون مستجيبا لمقتضيات المنوال المنطقي الذي كان يمد العلوم بأسسها العلمية من حيث بناء المفاهيم وحدِّها وقواعد الاستدلال على القضايا والبرهنة عليها»[24].

ولعل بناء البلاغة بهذه الصيغة هو ما وفّر لبلاغة السّكاكي المكانة المميزة التي اتّسمت بها في عصره، حيث أقبل عليها الدّارسون شرحا وتلخيصا وامتد تأثيرها إلى اليوم في كتبنا المدرسية، فالسّكاكي يقرّ بفلسفيّة البلاغة العربيّة، وأنّ موضعها الطّبيعي الفلسفة والمنطق «فقعّدها انطلاقا ممّا

فعل الذين اهتدوا إلى تأسيسها قبله وهم الإغريق،قبل العرب بزهاء عشرة قرون؛ فهل هو في ذلك من المليمين؟»[25]. ومنه فإنّ الحديث عن أعشاب ضارة في بستان البلاغة وعن تجميدها وتعطيل حركيّتها بتأثير من المنطق يعدّ انطباعا ،كما يقول شكري المبخوت، يحتاج إلى «مزيد دراسة للمنوال الذي بناه السكاكي من حيث تماسكه مفاهيم وطرقا في البرهنة على أُسس أفضل تستثمر مكتسبات الإبستيمولوجيا الحديثة»[26].

فالبلاغة عند السكاكي علم لدراسة الأساليب وكشف خصائصها ومميزاتها من خلال آليّات يوفّرهاعلما المعاني والبيان. كما تقع البلاغة عند السكاكي في منطقة تداخل وتقاطع: النحو والمنطق والشعر. حيث يرى أن تمام علم النحو يكون بعلمي المعاني والبيان وأنّ علم المعاني يتمّ من خلال علمي الحد والاستدلال، ثم انتبه إلى أنّ التّدرب في علمي المعاني والبيان يقف على ممارسة باب النظم والنثر فأضاف قسما آخر لعلم الشعر ودفع المطاعن فيه، فكانت دائرة عند السّكاكي على النحو التالي[27]:

وفّق السّكاكي من خلال طرحه هذا إلى إيجاد منطقة تعايش علم النحو وعلم المنطق، وتداخلهما، كما يرى محمد العمري، وهي منطقة لم يستطع النّحاة والمناطقة قبله التفاوض الإيجابي حولها، يقول: «إن أهمية عمله [يقصد السكاكي] تكمن في اكتشاف منطقة تقاطع النحو والمنطق والشعر أي في دخوله شخصيا إلى عاصمة البلاغة، وبذلك خرج من خطاب التنافي بين النحو والمنطق والشعر الذي تاه فيه متّى بن يونس والسيرافي وغيرهما وكان من حقه أن يقول: وجدتها!»[28]. وهذه المنطقة هي التي سماها السكاكي بعلم البلاغة وجعل علمي المعاني والبيان محددين لها من خلال تعريفه البلاغة تعريفا جامعا للعلمين يقول:«البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعنى حدًّا له اختصاص بتوفية خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها» [29]. يبدو السكاكي في تعريفه بصيرا بموالج الكلام ومخارجه، ومدركا حصيفا لمناسبة التّراكيب للأحوال التي تُقال فيها ولذلك جعل مهمة البلاغة بحث خواص تراكيب الكلام التي

يشتمل عليها الحدث في المقامات المختلفة وكذا معرفة صياغات المعاني التي يتوصل بها إلى توفية مقامات الكلام حقَّها.

2 – طرفا الخطاب في المفتاح وأبعادهما النّصية التداولية:

لقد كان للسّكاكي كغيره من بلاغيّينا القدامى فضل الالتفات إلى العديد من ظواهر اللّغة الهامّة سواء في النّحو أو البلاغة أو الدّلالة أو التّداولية والأسلوبيّة، ومعالجتها بوعي عميق وتفهم لا يقلّ عن إدراك اللّغويين والتّداوليين الغربيّين أمثال: بيرس Peirce وفان دايك Van Dijk وجون أوستينJ.Austin و رومان جاكبسون Roman jakobson، وهو ما جعل مفتاح العلوم يزخر بمؤشّرات تداولية مهمّة، منها عناية السّكاكي بعناصر الخطاب: المتكلّم والرّسالة والسامع والسّياق.

يقول الباحث نعمان بوقرة «تجلت ملامح التداولية بشكل أكبر عند السّكاكي من خلال توصيف عناصر العملية التّواصلية وربطها بمقتضى الحال لأنّ وضعية المتلقي وأحواله تساهم مساهمة فعّالة في فهم المقصد فهما جيدا وتحدّد أيضا نوعية الكلام المرسل من المتكلّم»[30]. فأبو يعقوب السّكاكي يولي أهمية بالغة لطرفي الخطاب مخاطِب(متكلم) ومخاطَب (سامع) وأقوالهما، ويجعلهما أساس عملية التواصل، يقول:«وحق الخطاب أن يكون مع مُخاطَب معيّن»[31].

واضح أن السكاكي يؤكد على أهمية التخاطب والتّواصل بين الناس/ وأنّه لا يتم إلا بمراعاة طرفي الخطاب (مخاطِب/ مخاطَب) كما أنّ الرّسالة في حد ذاتها تتحدّد نوعيتها من خلال مراعاة حال السامع ومكانته، ولعل هذا ما جعل السكاكي يقيم دراسته في المفتاح كلّها «انطلاقا من العلاقة بين المتكلم والمخاطب في مختلف حالاتها وتغيّراتها وظروفها، وكذا مقاصد ونوايا المتكلم من وراء استعمالاته للّغة»[32]. فالتخاطب عند أبي يعقوب السّكاكي يتم من خلال مراعاة: المتكلم والمُخاطَب ومقتضى الحال الذي يشمل كل ما يحيط بالكلام، ويساعد على فهمه وتحليله والوصول إلى قصد المتكلم ونواياه كما يشمل تحقيق الإفادة لدى السامع. وبما أن عناصر العملية التواصلية (عناصر الخطاب) من مخاطِب، خطاب (رسالة) مُخاطب مع مراعاة الحال تعدّ من المؤشرات النصية والتداولية، فما مدى عناية السّكاكي واهتمامه بهذه العناصر؟ وأين تجلّت هذه العناية؟

وسيتمّ الاكتفاء في الإجابة عن هذا السّؤال بطرفي العمليّة التّواصلية:المُخاطِب والمخاطَب فقط دون عنصري الرّسالة و"مقتضى الحال" لأنّ الاهتمام بالنّص (الرسالة) يدخل في إطار العناية بالسّامع وأحواله ومكانته، فنوردهما لذلك في عنصر واحد كما أنّ الرّسالة ممثلة هنا في "مفتاح العلوم" تعدّ مجالا للبحث كلّه؛ وأمّا "مقتضى الحال" فله هو الآخر مبحث خاص به في الفصل الثاني، ولنا عناية به في كلّ أجزاء البحث لما يُسهم به في تحديد المظاهر التّداولية في مفتاح العلوم،لأن السّياق يعدّ القطب الذي تدور عليه رحى اللّسانيّات التّداولية.

أ-المُخَاطِب(المتكلّم): هوّ الذّات المحورية في إنشاء الكلام لإعلام المُخاطَب بمراده وقصده، فمن خلاله تنتقل اللّغة من الوجود بالقوّة في ذهن صاحبها، إلى الوجود بالفعل حين يتلفظ المتكلم بها. ومن مظاهر عناية السكاكي بالمتكلّم، تعريفه لعلم البيان، حيث جعل قصد المتكلم لبّ الدّراسة، يقول:«هوّ معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه»[33].

فعلم البيان في اهتمامه بمطابقة الكلام للمراد منه يعني أنّه يقوم أساسا على العناية بقصد المتكلم وبجعله مركز اهتمامه، فإذا لم يوافق الكلام قصد قائله ولم تتحقّق المطابقة لا يتحقق للخطاب أو النّص نصّيته ولو كان خطابا سليما، والقصد كما أشرنا بؤرة اهتمام اللّسانيات التداولية لأنه أساس التّواصل؛ فلا تواصل دون قصدية، إنه الخطوة الأولى التي يقوم بها المتلفظ بالخطاب، وهذا مظهر من مظاهر التّداولية يبرز عند السّكاكي في حدّه لعلم البيان. ومن الإشارات الواضحة أيضا التي اعتنى فيها السّكاكي بالمتكلّم (المبدع) ربط الخطاب، و يسمّيه الكلام، بشخصية مبدعه وكفاءته اللغوية الأدبية، يقول: « نظم الكلام إذا استحسن من بليغ لا يمتنع أن لا يُستحسن مثله من غير البليغ، وإن اتّحد المقام، إذ لا شبهة في صحّة اختلاف النظم مقبولا وغير مقبول عند اختلاف المقام، فلابد لحسن الكلام من انطباق له على ما لأجله يُساق ومن صاحب له عرّاف بجهات الحسن لا يتخطاها وإلا لم يمتنع حمل الكلام منه على غيرها ويتعرى عن الحسن لذهاب كسوته»[34].

فالسكاكي يرى أنّ النّص لا يكتسب نصّيته وجماليته، إلاّ إذا كان صادرا عن المتكلم وملبّيا لقصده من كلامه ، ومطابقا له، فيكون المتكلم على وعي بما يقصده، ومدركا له حيث يكتسب النّص

الأدبي شخصيته «ويستمد قوته وبلاغته وخصوصيته من شخصية مبدعه»(35). ويشترط السّكاكي في المتكلّم أن تتوفر فيه كفاءة لغوية تمكّنه من نظم الكلام، كأن يكون مدركا للإمكانات اللغوية المتاحة له من تقديم وتأخير وحذف وذكر وغيرها من جهات الحسن والعناصر الجمالية المختلفة، ولذلك رأى السكاكي أن الكلام إذا لم يصدر من بليغ عرّاف بجهات الحسن لا يكتسب نصّيته لعدم توفر القصد من صاحبه، وإن حفل ببعض العناصر الجمالية والقيم البلاغية، ذلك أنّ «جوهر الكلام البليغ مثله مثل الدرة الثمينة لا ترى درجتها تعلو ولا قيمتها تغلو، ولا نشتري بثمنها، ولا تجري في مساومتها على سننها، ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها والراغب فيها خبيرا بمكانها»(36).

فقيمة النّص الأدبي عند السّكاكي ترتبط بالمتكلّم أو المبدع ومدى براعته وامتلاكه لكفاءة تجعله بصيرا بموالج الكلام ومخارجه وعلى أساس هذه الكفاءة يكتسب النّص الأدبي نصّيته وأدبيّته ثم إن إنتاج النصوص والخطابات في حد ذاته يكون على أساس الإمكانات اللغوية والأدبية للمبدع وثقافته وكل ما يحيط به، ويختلف بين الناس باختلاف كفاءاتهم اللّغوية والأدبية، وبذلك يكون إنتاج الخطابات والنصوص الأدبية بما تحويه من صور وأخيلة ما هوّ إلا نتاج المخزون الذّهني للمتكلّم والمبدع من اللغة والخيال والمعاني(37).

وبذلك فالأسلوب الذي يسود في النص ويقوم عليه هو أسلوب مؤلّفه، وطريقته في التّفكير، يقول السّكاكي:«فإنّ جميع ما يثبت في الخيال ممّا يصل إلى (المبدع) من الخارج، يثبت فيه على نحو كما يتأدّى إليه، ويتحرّر لديه، ولذلك لمّا لم تكن الأسباب على وتيرة واحدة فيما بين معشر البشر، اختلف الحال في ثبوت الصّور في الخيالات ترتبا ووضوحا، فكم من صور لا تكاد تلوح في الخيال وهي في غيره نار على علم»(38). بمعنى أن عملية إنتاج الخطابات والنصوص يتم فيها ربط النص بمبدعه حيث يكون الخطاب نتاجا لعملية صياغة الألفاظ والمفردات في تراكيب معينة تخضع لإمكانات المتكلم اللغوية وكفاءته، وتكون فيها حاملة للأخيلة والمعاني التي في ذهنه، وبذلك فأهلية المتكلم تعدّ محكّا حقيقيا في إنتاج الخطاب.

نجد كذلك من مظاهر عناية السّكاكي بالمتكلم (المبدع) في إنتاج نصه/ خطابه، أنّه يربط جمالية النّص وأدبيته بذوق صاحبه الفنّي يقول:«فإنّ ملاك الأمر في علم المعاني هوّ الذوق السليم

والطبع المستقيم فمن لم يرزقهما فعليه بعلوم أخر، وإلاّ لم يحظ بطائل ممّا تقدم وتأخّر»[39]. وهو ما يتحقق من خلال دُربة المتكلم على النصوص الإبداعية الجيدة، بحفظها والسّير على نهجها في إنتاجه لنصوصه وخطاباته الإبداعية.

يتجلى إذن بوضوح وعي أبي يعقوب السّكاكي بأهمّية المتكلم / المبدع ودوره في إنتاج النّص الأدبي/ الخطاب سواء من الجانب اللغوي، أم من الجانب الشخصي للفرد ومخزونه الذهني والفكري وهو وعي يتقاطع فيه السّكاكي، ولا جرم في ذلك، مع علماء لسانيات النّص والتّداولية في عنايتهم بالمتلفظ، بعدّه منتجا للخطاب وذاتا محورية فيه ومع الدّراسات النقدية الحديثة في نظرية التلقي، والشعرية الباحثة عن جماليات النص الأدبي انطلاقا من علاقة المبدع بالنص والمتلقي.

ب-المخَاطَب (السّامع): يمثل المخاطَب الطرف الثاني في عملية التخاطب الذي ينشئ المخاطب (المتكلم)، خطابه من أجله ويوجهه إليه، وعلى أساسه (المخاطَب) يتحدد نوع الرسالة (الخطاب)، التي ينشؤها المتكلم (المخاطِب)،«فإنشاء الخطاب وتداوله مرهون إلى حدّ كبير، بمعرفة حاله أو بافتراض ذلك الحال، والافتراض المسبق ركن ركين في النّظام البلاغي العربي، إذ العناية في المقام الأول موجهة إلى المرسل إليه»[40].

وهذا يعني أن المخاطَب (السّامع) يكون دائما حاجزا في ذهن المتكلّم (المخاطِب) عند إنتاجه لخطابه، ويختار المتكلّم حينها الإستراتيجية التي تناسب قصده وتراعي حال مخاطَبه كي يضمن لكلامه الإفادة، وهذا ما يمنح الخطاب حيويته وحركيته. ومن مظاهر عناية السّكاكي بالسّامع في المفتاح نجد تعريفه لعلم المعاني حيث جعل مراعاة حال السامع[41] مركز اهتمامه، وعلى أساس هذه الحال تتفرع أضرب الخبر يقول:«اعلم أنّ علم المعاني هوّ تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره»[42]. فعلم المعاني عند السكاكي يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال أي أن تُوافق تراكيب الكلام، ما يقتضيه الحال، فيهتمّ أساسا بالمقام ومن ضمنه حال السّامع فإذا تحقّقت المطابقة أو الموافقة، ينتج عنها إفادة واستحسان في الكلام. وبذلك يشترط السكاكي الإفادة والاستحسان في

علم المعاني؛ لأنّ الكلام إذا لم يُحقق فائدة لدى المتلقي يعدّ كلاما باطلا لا يُلبي الغرض الذي وُضع من أجله.

فموضوع علم المعاني إذن دراسة العلاقة بين تراكيب الكلام و"مقتضى الحال"، وهذا من مظاهر الدراسة التداولية عند السكاكي حيث يقيم علم المعاني على دراسة التراكيب في ضوء المقام الذي يرد فيه ومدى مطابقتها له تحقيقا للإفادة والاستحسان، والإفادة في حدِّ ذاتها سمة تداولية مهمة تستند عليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال. ولمّا كان علم المعاني يُعنى أساسا بالموقف الخارجي "المقام"، فيراعي حال السامع ويجعله مركزًا لاهتمامه، جعله محمد عابد الجابري يُعنى بشروط إنتاج الخطاب، في حين جعل علم البيان الذي يركّز على مطابقة الكلام للمراد منه، يُعنى بقوانين تفسير الخِطاب ذلك أنه يهتم بالموقف الداخلي فيركز على قصد المتكلم من كلامه ومدى تحقيق تراكيب اللغة لهذا القصد(43).

ومن مظاهر عناية السكاكي بالسَّامع ودوره في توجيه الخطاب ربطه مقتضى الحال بالسّامع حيث يكون إما خالي الذهن أو مترددًا في حكمه أو منكرا له، وقد يخرج كلام المخَاطِب على خلاف مقتضى الظاهِر كأن يجعل غير المنكِر كالمنكر والمنكر كغير المنكِر(44). فالسامع إذن يتحكم في توجيه الخطاب إليه كي يحقق الفائدة فخطاب المتردد في الكلام يختلف عن خطاب المنكِر له. كما نجد عناية السّكاكي بالسّامع واهتمامه به في باب الالتفات، فهو يرى أنّ«الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب آخر أدخل في القبول عند السامع وأحسن تطرية لنشاطه وأملا باسْتِدْرارِ إصغائه»(45). بمعنى أنّ بناء المتكلم لكلامه هو فعل يقوم على إيلاءِ أهمية للسامع ويَعمَلُ على التأثير فيه. والسّكاكي في إشارته هذه لا يبتعد كثيرا عن مجالات اللسانيات التداولية في عنايتها بالسامع ومدى القدرة على التأثير فيه باللغة، وطرائقها المختلفة.

ومن الإشارات البيّنة التي تكشف عن اهتمام بالغ بالسّامع ومراعاة له في إنتاج الخِطاب، ما ورد في مبحث أسلوب القصر حيث يعدّ القصر من موضوعات البلاغة التي تولي عناية السّامع وموقفه من الخطاب عناية، ذلك أنّ«حاصل معنى القصر راجع إلى تخصيص الموصوف عند السّامع بوصف دون ثان كقولك زيد شاعر لا منجم لمن يعتقده شاعرا ومنجمًا»(46).

فأسلوب القصر يقوم على تحديد موقف السّامع من الخِطاب أساسا ثم محاولة تغير اعتقاداته إذا لم توافق الحكم، ففي المثال الذي عرضه السّكاكي: زيد شاعر لا منجِم، فيه قصر إفراد[47] يقوم على إزالة الشركة بين الوصفين عند السامع وتخصيص زيد بالشاعرية وإفراده بها، ولذلك يتنوّع أسلوب القصر بحسب حال السّامع من خطابه وموقفه وهذه سِمة تداولية مُهمة يقوم عليها أسلوب القصر، كان السّكاكي على وعي بها ولذلك ركّز على السامع في تحديده لمعنى القصر وبيان أنواعه. هذا ونجد السّكاكي في بحثه للفصل والوصل يركز على مجموعة من النقاط تحمل في أساسها قيما تداولية صريحة، من أبرزها في مقام الفصل: "تنزيل السّؤال بالفحوى" أو "تقدير السؤال" حيث يشكل مبدأ تداوليا مهما يقوم على دفع المتكلم إلى افتراض مسبق لسؤال السّامع، فيضع له إجابة أثناء كلامه، مما يضمن استمرارية الخطاب وتحقيق الفائدة لدى السامع. واضح أن السِّمة التداولية تتمثل في وجود جواب ظاهر لسؤال مقدَّر من السّامع لكن ما دواعي تقدير السّؤال عند السّكاكي؟

يعرض أبو يعقوب لدواعي تقدير السّؤال فيقول: «إن تنزيل السّؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يُصار إليه إلاّ لجهات لطيفة:

-إما لتنبيه السّامع على موقعه.

-أو لإغنائه أن يسأل.

-أو لئلاّ يَسمَعَ منه شيء.

-أو لئلا ينقطع كلامك بكلامه.

أو للقصد إلى تكثير المعنى بتقليل اللّفظ»[48].

يظهر جليا أن هذه الدواعي تكشف هي الأخرى عن اهتمامات وأبعاد تداولية بيّنها السّكاكي بوعي عميق، حيث جعلها تقوم على مراعاة السّامع والمتكلّم والخِطاب وحصر هذه الدواعي في خمس اعتبارات:« الجهات الثلاث الأولى اعتبارات تتعلق بالسّامع ويمكن إجمالها في ثلاثة: تنبيه السّامع، وإغناء السّامع، وإسكات السّامع، وأمّا الرّابع فيتعلّق بسلطة المتكلّم وتنبّه

بإمكان إثارة الكلام المقول، استفهاما في ذهن السّامع، فيُبادِر إلى الجواب قبل السّؤال لضمان الاستمرار في (الكلام)، أمّا الاعتبار الخامس فيتعلّق بالخِطاب نفسه»[49].

ويدفعنا هذا إلى القول إنّ معالجة السّكاكي في هذه النقطة تكشف عن اهتمامات تداولية مهمة حيث انطلق في معالجته لقضية تقدير السّؤال، من دراسة للغة في استعمالها فبيَن كيف يلجأ المتكلم أثناء كلامه إلى وضع إجابة لسؤال افتراضي قد يتبادر إلى ذهن السّامع مبيِّنا دواعي ذلك وهي دواعٍ تُدرَج ضمن صميم اهتمامات علماء اللّسانيات التداولية، كان للسكاكي فضل الالتفات إليها وتحليلها فرأى أنّ سبب لجوء المتكلم لتقدير السّؤال قد يكون لأجل ضمان استمرارية الكلام وعدم انقطاعه وتحقيقا للفائدة المرجوَّة من الكلام وذلك بتنبيه السّامع إلى موقعه (إستراتيجية توجيهية)، وإغنائه عن السّؤال وضمان استمرارية إصغائه لُمخاطِبه. كما تلعب سلطة المتكلّم دورا مهما في توجيه الخِطاب وضمان استمراريته في الكلام، حيث يفترض مسبقا سؤال السّامع فيُقدِّم له الجواب حتى قبل سؤاله ضمانا لعدم انقطاع كلامه.

ويربط السكاكي مرّة أخرى تحليلاته لأصول الإسناد الخبري وأغراضه بضرورة مراعاة عناصر الخِطاب: مُخاطَب، خِطاب ومخاطِب والسّياق بنوعيه، ولذلك نجده يركز في حديثه عن مسوِّغات حذف المسند إليه، على عناصر الخِطاب يقول: «أمّا الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه، فهي إذا كان السّامع مستحضرا له، عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند والتَّركُ راجع إما لضيق المقام (السياق الخارجي) وإما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر(السياق الداخلي)، وإما للتخيّيل أنّ في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشَّهادتين (حال المتلقي)، وأما لإيهام أنّ في تركه تطهيرا للّسان عنه أو تطهيرا له على لسانك، وأما للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار، إن مسَّت إليه الحاجة (حال المبدِع)»[50]

فالملاحظ أنّ السّكاكي يشير إلى مسوِّغات حذف المسند إليه، فيرى أنّه يُحذف من الكلام في مواضِع، ضمانا لانسجام الخِطاب وتماسكه وذلك نحو أن يكون المسند إليه معلوما لدى السَّامع ومُدركا أنّ المتكلّم قصد إليه، إلاّ أنّ المقام لا يسمَح بذكره فيُحذَف كما قد يحذف المسند إليه لدلالة السّياق الداخلي عليه وبالتالي فإن في حذفه احترازا عن العبث في تركيب الكلام، وضمانا لاتّساقه،

وتحقيقا لنصوصيّته. وقد يُحذف المسند إليه كذلك بغرض دفع السّامع إلى المساهمة في إنتاج الخِطاب فيفسح المجال أمامه لاستخدام عقله كي يجد العناصر المحذوفة من الكلام مستأنسا في ذلك بالقرائن التي تركها له المتكلّم، وفي هذا إستراتيجية تضامنية تعمل على إشراك السامع في إنتاج الخطاب وتحقيق عمليّة التّواصل الايجابي فيه. وقد يكون حذف المسند إليه، لغرض عند المتكلم كأن يمنح لنفسه سبيلا للإنكار إن اقتضى الأمر ذلك.

والظّاهر أنّ عرض السّكاكي للأحوال الدّاعية لطي ذكر المسند إليه، يستند إلى مؤشرات نصيّة وتداولية (حال السّامع، وحال المتكلم وقصدهُ، والسّياق الداخلي، والسّياق الخارجي)، توضيحا لتحليلاته وتأكيدا على دور عناصر الخطاب هذه في التّحكم بالخطاب ونوعيته، وهو ما أكدّه السّكاكي مرة أخرى حينما انتقل للحديث عن الحالة التي تقتضي إثبات المسند إليه، يقول: «أو يذكر احتياطا في إحضاره في ذهن السامع، لقلة الاعتماد بالقرائن، أو للتّنبيه على غباوة السّامع، أو لزيادة الإيضاح والتقرير، أو لأنّ في ذكره تعظيما للمذكور، أو إهانة له كما يكون في بعض الأسامي والمقام مقام ذلك، أو يذكر تبرّكا به واستلذاذا لهّ كما يقول الموحد: الله خالق كل شيء (...) أو لأن إصغاء السامع مطلوب فيبسِطُ الكلام افتراضا»[51].

فالسّكاكي يرى أنّ المسند إليه واجب الذكر إذا لم يتوفر لدى السّامع قرائن كافية تمكّنه من الاستدلال على المحذوف، أو كان السّامع غير مؤهل لإدراك المسند إليه المحذوف لغباوته (حال السامع)، كما يجب ذكر المسند إليه إذا قصد المُخاطِب زيادة إيضاح وتقرير في كلامه وتأكيد له (السياق الداخلي للخطاب كما قد يلجأ المتكلم لذكر المسند إليه تعظيما له أو إهانة له، فيَخْضَعُ إذن حذف أو ذكر المسند إليه لسلطة المتكلّم/ المُخاطِب).

إن عناية السّكاكي بعناصر الخطاب ورعايتها في تراكيب الكلام تجعل "المفتاح" مجالا خصبا لإقامة لسانيات تداولية عربية تبحث في المعنى وتتخذ من اللغة أرضية للدراسة والتحليل أثناء الاستعمال، ذلك أنّ الذي يهتم بمقتضى الحال والمقام والمتكلم والمخاطب والخطاب والقصد والإفادة، وهي كلها مؤشّرات للدّراسة النّصية والتّداولية ومظاهر لها، حقيق بأن يُدرج ضمن الاهتمامات التداولية في التراث اللغوي العربي وبخاصة البلاغي منه ولذلك صرّح "فان دايك" Van

Dijk بأنّ «البلاغة هي السابقة التاريخية لعلم النص»(52) حيث تقدم البلاغة أبنية خاصة ومظاهر، لكل منها تقنية أداتية خاصة بكل شكل من الأشكال، كما تزخر البلاغة بآليات عديدة تعمل على تحقيق الترابط والتضام داخل النصّ تمت الإشارة إلى البعض منها، حين بياننا لرعاية السّكاكي لعناصر الخطاب، مما يشير إلى أنّ «البلاغة ومادتها في الأصل تقدم خطابا إبلاغيا خاصا للمتلقي ابتداء من المبدِع مرورا بالنص وانتهاء بالمتلقي ومن هنا فإن دراسة الخطاب البلاغي له أهميته الخاصة وخصوصا في إطار البنية النصية»(53).

كل هذا يؤكد مدى أهمية "مفتاح العلوم" في الإشارة إلى أبعاد تقنيات الخطاب البلاغي وآلياته في تحقيق الترابط النصي وفي دراسة المعنى أثناء استعماله من قبل المخاطِب، وعليه فإن التصور العام الذي يمكن وضعه للمسألة البلاغية يكون على النحو الآتي(54):

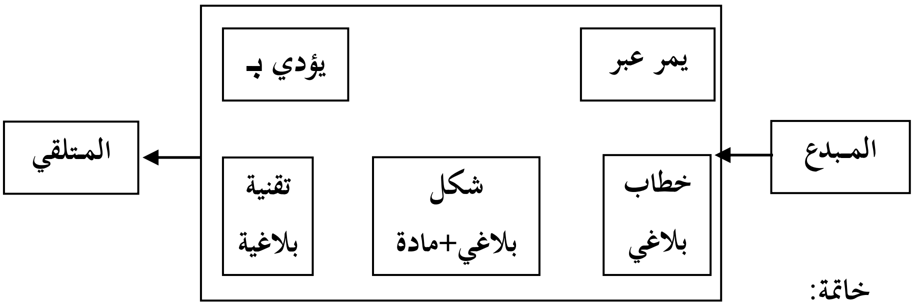

خاتمة:

يتضح لنا من خلال هذه المعالجة أن مفتاح العلوم يستجيب للطرح التداولي الذي وضعناه فيه، من خلال استراتيجيات محكمَة ضبطها السكاكي في مشروعه علم الأدب ووضح من خلالها أسباب تأليفه وأغراضه ومراميه من كل ذلك جاعلاً من علم الأدب علمًا للخطاب الكلي الذي يقتضي ضبطه إحاطة بعلوم اللسان(صوت وصرف ونحو وبلاغة ودلالة) وعلم المنطق.

ويكفي الإطلاع على مقدّمَة "المفتاح" ليتّضح مقصد السّكاكي في مشروعه حيث تتضمّن المقدِّمة إستراتيجية توجيهية تعمل على ضبط معارف القارئ وتوضيح غرض السّكاكي في المفتاح، فتوجّه القارئ العربي لمنهج المفتاح ومفهومه لعلم الأدب وأهدافه، ذلك أنه على القارئ أن يكون مزوَّدًا ببعض الآليات التي تمكّنه من فهم مشروع علم الأدب وكيفية تحقيق الكفاية الأدبية فيه، وبذلك فمقدمة المفتاح تحوي أبعادًا تداولية مهمة لا يمكن لدارس المفتاح الاستغناء عنها.

مراجع البحث و إحالاته

(1) مفتاح العلوم، :تحقيق:عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2000، ص37.

(2) نفسه، ص39.

(3) يقصد السكاكي بنوع اللغة:المعجم أي دلالة الألفاظ في المعجم.

(4) السكاكي، مفتاح العلوم، ص37.

(5) ينظر: فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية،، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1986، ص11.

(6) يُقصد بها أن ينفرد العارض ببناء معرفة نظرية يسلك فيها طرقا مخصوصة يعتقد أنّها ملزمة للمعروض عليه، منتهجا في عرضه مناهج الاستدلال البرهاني من تجريد وتدقيق وترتيب وبسط للقواعد، (ينظر: طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب ط2، 2000. ص38، 39).

(7) طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص41.

(8) استفدت في هذه النقطة من عرض إدريس مقبول لهذه الطريقة في بحثه للفكر التداولي عند سيبويه (الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2006 ص84 ،85.

(9) مفتاح العلوم: ص141.

(10) إدريس مقبول: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص84.

(11) ينظر: محمد العمري: البلاغة الجديدة بين التخيل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2005، (د ط)، ص46.

(12) السكاكي: مفتاح العلوم، ص249.

(13) صلاح إسماعيل: نظرية المعنى في فلسفة بول غرايس، الدار المصرية ة السعودية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،2005، ص94. ويعرفها "جون سيرل" بقوله:« من السّمات البارزة للعقل أنّه يربطنا عن طريق القصدية بالعالم الواقعي وهذه هي ماهية القصدية فهي الطريقة الخاصة التي يمتلكها العقل لربطنا بالعالم، وعلى غرار ذلك تبرز حقيقة أن هناك طرقا مختلفة ترتبط بها المحتويات الخبرية بالعالم عن طريق أنماط مختلفة من الحالات القصدية.»جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ترجمة:سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف الجزائر، المركز الثقافي العربي، لبنان، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2006، ص151.وقد جعلها "سيرل" تشمل الاعتقادات والرّغبات والمقاصد والإدراكات وكذا ضروب الحب والمكاره والمخاوف والآمال.

(14) ينظر: محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ط2، 1987، ص97.

(15) ينظر: محمد سويرتي: النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، تقريب توليدي وأسلوبي وتداولي، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007، (د ط)، ص216.

(16) عبد الجليل ناظم: البلاغة والسلطة في المغرب، دار توبقال للنّشر، الدار البيضاء،المغرب، ط1، 2002، ص51.

(17) محمد العمري: البلاغة بين التخييل والتداول، ص50.

(18) ينظر: مفتاح العلوم: ص39.

(19) محمد العمري: البلاغة أصولها وامتدادها، أفريقيا الشرق، المغرب،1999، ص481.

(20) فان دايك: "النص بنياته ووظائفه"، ضمن كتاب نظرية الأدب في القرن العشرين، ترجمة وتقديم: محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1996، (د ط)، ص46.

(21) ينظر محمد عابد الجابري،: بنية العقل العربي، ص91.

(22) ينظر: مفتاح العلوم، ص 37.

(23) شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، دار المعرفة للنّشر، تونس، ط1، 2006م، ص 98.

(24) نفسه.

(25) عبد الملك مرتاض،نظرية البلاغة، نظريّة البلاغة، دار القدس العربي، الجزائر، ط2، 2010، ص74.

(26) الاستدلال البلاغي، ص98.

(27) ينظر: محمد العمري: البلاغة بين التّخييل والتّداول، ص 47.

(28) محمد العمري:البلاغة بين التّخييل والتّداول، ص46؛ و"البلاغة العامة والبلاغات المعممة"،مجلة فكر ونقد، الرباط، المغرب،العدد25، 2000،(www.fikrwanakd.aljabiriabed.net 25.07.2009،الساعة:15:37).

(29) مفتاح العلوم، ص526.

(30) نعمان بوقرة: "ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين"،www.algahereya.net (18/ 08/ 2010. 1520)

(31) مفتاح العلوم: ص271.

(32) بشير إبرير: توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، (رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الدولة في اللسانيات التطبيقية)، جامعة الجزائر، السّنة الجامعية: 1999 / 2000، ص33.

(33) مفتاح العلوم، ص 249.

(34) مفتاح العلوم: ص431.

(35) محمد صلاح زكي أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، جامعة الأزهر،غزة، (دط)،2007، ص30.

(36) مفتاح العلوم: ص363.

(37) ينظر: محمد صلاح زكي أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص32.

(38) مفتاح العلوم: ص363.

(39) نفسه: ص413.

(40) عبد القادر بن ظافر الشهيري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2004،1 ص47، 48.

(41) يرى الباحث محمد صلاح زكي أبو حميدة أنّ السّكاكي حين إشارته للمتلقي(المخاطَب)، يُؤثر استخدام مصطلح السامع دون غيره، ولهذا دلالته الثقافية المتمثلة في كون النصوص الأدبية كانت تُلقى بلسان صاحبها مشافهة أو ينقلها الرواة شفاهة أيضا وبذلك فالمتلقي يتصل بالنص من طريق السمع فحسب دون القراءة والكتابة وهو ما يؤدي إلى استجابة سريعة للنص يعوزها التأمل والتروي والاسترجاع ومن ثم تكون الأحكام انطباعية مباشرة. ينظر:البلاغة والأسلوبية عند السكاكي، ص43.

(42) مفتاح العلوم: ص247.

(43) ينظر: محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ص97؛ يقول الجابري بيانا لذلك:« إنّ علم المعاني يُعنى أساسًا بشروط إنتاج الخطاب، بينما يُعنى علم البيان أساسا بقوانين تفسير الخطاب».

(44) ينظر: مفتاح العلوم ص258، 259.

(45) مفتاح العلوم: ص296.

(46) نفسه: ص400.

(47) هناك أيضا نوع آخر لأسلوب القصر يسمى قصر القلب يقوم فيه المتكلم بقلب حكم السّامع نحو قولك زيد شاعر لا منجم؛ ينظر: مفتاح العلوم، ص289،288.

(48) مفتاح العلوم: ص361.

(49) خلود العمّوش: الخِطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النّص والسّياق، عالم الكتب الحديث، جدارا للكتاب العالمي الأردن، ط1، 2008، ص72.

(50) مفتاح العلوم: ص266،265؛ ومحمد صلاح زكي أبو حميدة: البلاغة والأسلوبية عند السّكاكي، ص35.

(51) مفتاح العلوم: ص 268.

(52) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 2004 ص299.

(53) فايز القرعان: تقنيات الخطاب البلاغي دراسة نصية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2004، ص3.

(54) ينظر: المرجع نفسه، ص3.